بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة مكتوبة بعنوان:

الإخبار

بما في الزلازل من المواعظ والاعتبار

الحمدُ لله الذي امتنَّ علىٰ عبادِه بقرارِ الأرض، ومهَّدَها للعيش فيها والسيرِ في طولِها والعَرْض، أحمدُه عدد ما أُطيعَ بكلِّ نافلةٍ أو فرْض، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، يُفقِدُ الأرضَ قرارها إذا شاء، يَحْكُمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريد، فلا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحُكمِهِ، ولا غالبَ لأمرِه، آمنَّا بذلك كُلِّه، وأَيقَنَّا أنَّ كُلًا من عندِه، لا إلهَ إلا هو ربُّ العرشِ العظيم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيّدُ المرسلين، وحبيبُ ربِّ العالمين:

وأوفرُ كلِّ خلقِ اللهِ حظًّا... من الإكرامِ خيرُ المرسلينَ

فصلىٰ اللهُ ربي كلَّ وقتٍ... علىٰ المختارِ خيرِ العالمينَ

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عز وجلَّ في السرِّ والعلن، {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ} [سورة آل عمران:١٠٢].

منْ يُطِعِ اللهَ رسولَه فقدْ رَشَد، ومن يَعصِ اللهَ ورسولَه فقد غوىٰ ولا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا، و{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ}.

أيها الناسُ عبادّ الله: لا يخفىٰ علىٰ الجميعِ ما حصَل لإخوانِنا المسلمين في بلادِ المغربِ وفي أرضِ ليبيا، ومع دعائنا ورجائنا أنْ يرحمَ اللهُ من مات منهم، وأنْ يتقبَّلَهم في عِلِّيين، وأن يَشفيَ المرضىٰ ويُعافيَ الجرحىٰ، وأنْ يَجبُرَ الناسَ في مُصابِهم، وأنْ يُعوِّضَهُم خيرًا في دينهم ودنياهم، مع ذلك كله، ينبغي لكلِّ عاقلٍ أنْ يعتبرَ ويتَّعِظَ بما جرىٰ؛ ففي هذه الحوادثِ

العظيمةِ، والنوازلِ الجَسيمة، والمصائبِ الأليمة، التي تُغيّرُ حياةَ آلافِ البَشر، وتُقِضُّ مضاجعَ ذوي الألباب والفِطَر، فيها مواعظُ وعِبَر، وآياتٌ لذوي الفِكَر، فمن تلك الآيات، ومن تلك المواعظ التي تحركها تلك الأحداث العظيمة:

أنْ يتذكَّرَ الإنسانُ عظيمَ نعمةِ اللهِ علىٰ بقيةِ الخلقِ باستقرارِ الأرض، وسكونِها وتذليلِها، وقد أخبر اللهُ عن ذلك في كتابِه في كثيرٍ من المواضعِ والمواطِن، قال سبحانه وتعالىٰ: {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلىٰ حِينٍ} [سورة البقرة:٣٦]. وقال سبحانه: {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [سورة النمل:٦١]. وقال سبحانه: {اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ} [سورة غافر:٦٤].

تخيل لو كانت الأرضُ تتحركُ، وتضطرِبُ، وتَميد، وتَمُورُ، وترتجف بأهلها، كيف ستكونُ الحياة؟ وكيف سيعيشُ الناس؟

رُوي أنَّ اللهَ عز وجل أوّلَ ما خلقَ الأرضَ جعلت تتحركُ وتميدُ وتميل، فقالت الملائكة: كيف يكون العيش فيها؟ فألقىٰ الله علىٰ أرضي الجبال الرواسي فسكنت، قال سبحانه وتعالىٰ: {وَالْجِبالَ أَوْتاداً} [سورة النبأ:٧].

قال ابن كثير رحمه الله: ذَكَرَ الله تَعَالَىٰ الْأَرْضَ، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الرَّوَاسِي الشَّامِخَاتِ وَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، لِتَقِرَّ الْأَرْضُ وَلَا تَمِيدُ، أَيْ: تَضْطَرِبُ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَوَانِ فَلَا يَهْنَأُ لَهُمْ عَيْشٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} [النَّازِعَاتِ: ٣٢]، وعَنِ الْحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادة: أَنَّ الله تَعَالَىٰ لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ، جَعَلَتْ تَمُورُ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هَذِهِ بِمُقِرَّةٍ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَحَدًا، فَأَصْبَحَتْ صُبْحًا وَفِيهَا رَوَاسِيهَا، وفي رواية: فَأَصْبَحُوا وَقَدْ خُلقت الْجِبَالُ، لَمْ تَدْرِ الْمَلَائِكَةُ مِمّ خُلِقَتِ الْجِبَالُ" (١).

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٤/ ٥٦٣).

وقال سبحانه وتعالىٰ: {وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [سورة النحل:١٥]. أي: ثبَّتها لئلَّا تتحركَ وتضطربَ بالساكنين فيها، وما في باطن الأرضِ من حجمِ الجبالِ أضعافُ ما يظهرُ علىٰ ظهرها منها، فهي نعمةُ عظيمةٌ أن نعيشَ بقرارٍ وسكونٍ؛ فيجبُ علينا أن نشكرَ اللهَ علىٰ هذه النعم، وأن نحمدَه علىٰ ذلك كثيرًا.

وقال الشنقيطي رحمه الله: من نعمَ الله علىٰ خلقه التي ذكرها في كتابه وبيَّنَ عظيمَ مِنَّتِهِ عليهم بها: إلقاؤه الجبالَ في الأرضِ لتثبتَ ولا تتحرك، وكرَّر الامتنانَ بهذه النعمةِ في القرآن، كقوله: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)} وقوله: {وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ} الآية، وقوله: {وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ} وقوله جل وعلا: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} الآية، وقوله: {وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)} والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًا، ومعنىٰ تميد: تميل وتضطرب.

وفي معنىٰ قوله: {أَنْ أَن تَمِيدَ بِكُمْ} وجهان معروفان للعلماء:

أحدهما: كراهة أن تميد بكم.

والثاني: أن المعنىٰ: لئلا تميد بكم، وهما متقاربان[(٢)].

ومما تُذكرُ به تلك الحوادثُ والنوازل: أنَّ العاقلَ لا يأمنُ مكرَ الله، ولا يغفُل عن تذكُّرِ قدرةِ الله، لا سيّما وعواقبُ الله تتنوعُ، وآياتُه تتجددُ، فتأتي أحيانًا في صورة الخسف، كما قال سبحانه وتعالىٰ: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)} [سورة الملك].

وتأتي أحيانًا بصورة الرياحِ القواصِفِ التي لها قوةٌ وسرعةٌ تُدَمِّرُ كلَّ ما أتتْ عليه، كما قال تعالىٰ: {أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً (٦٩)} [سورة الإسراء:٦٩].

---

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٠٦ ط عطاءات العلم).

وقال سبحانه وتعالىٰ: {فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [سورة العنكبوت:٤٠].

فآياتُ الله سبحانه وتعالىٰ كثيرة فلا تأمنوا، وكيف يأمنُ العاصي وقد قال الله: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ} [سورة النحل:٤٥-٤٦]. قال الشوكاني رحمه الله: وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، {أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ} أي: كَمَا خَسَفَ بِقَارُونَ، {أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} أي: لَا يَشْعُرُونَ بِهِ فِي حَالِ غَفْلَتِهِمْ عَنْهُ، كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطٍ وَغَيْرِهِمْ، {أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ} ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ فِيهِ وُجُوهًا فَقِيلَ: الْمُرَادُ فِي أَسْفَارِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُهْلِكَهُمْ فِي السَّفَرِ كَمَا يُهْلِكُهُمْ فِي الْحَضَرِ، وَهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ بِسَبَبِ ضَرْبِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ، وَالْقَلْبُ بهذا المعنىٰ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ}، وَقِيلَ: الْمُرَادُ فِي حَالِ تَقَلُّبِهِمْ فِي قَضَاءِ أو طارهم بِوُجُودِ الْحِيَلِ، فَيَحُولُ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَقَاصِدِهِمْ وَحِيَلِهِمْ، وهذا المعنىٰ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ: {وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ}، وَقِيلَ: فِي حَالِ تَقَلُّبِهِمْ فِي اللَّيْلِ عَلَىٰ فُرُشِهِمْ، وَقِيلَ: فِي حَالِ إِقْبَالِهِمْ وَإِدْبَارِهِمْ، وَذَهَابِهِمْ وَمَجِيئِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، {فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ} أَيْ: بِفَائِتِينَ وَلَا مُمْتَنِعِينَ، {أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلىٰ تَخَوُّفٍ} أَيْ: حَالَ تَخَوُّفٍ وَتَوَقُّعٍ لِلْبَلَايَا بِأَنْ يَكُونُوا مُتَوَقِّعِينَ لِلْعَذَابِ حَذِرِينَ مِنْهُ غَيْرَ غَافِلِينَ عَنْهُ، فَهُوَ خِلَافُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: {أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}، وَقِيلَ: مَعْنَىٰ {عَلَىٰ تَخَوُّفٍ} : عَلَىٰ تَنَقُّصٍ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، أَيْ: عَلَىٰ تَنَقُّصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ حَتَّىٰ أَهْلَكَهُمْ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: قَالَ عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ: عَلَىٰ تَخَوُّفٍ، قَالَ: تَنَقُّصٍ إِمَّا بِقَتْلٍ أَوْ بِمَوْتٍ، يَعْنِي بِنَقْصٍ مِنْ أَطْرَافِهِمْ وَنَوَاحِيهِمْ يَأْخُذُهُمُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْأَخْذُ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ) (٣). وعلىٰ جميع الأقوال، وفي كل الأحوال، فإنَّ المرادَ أنْ يحذرَ الإنسانُ من أنْ

---

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٩٨).

يُباغتَه العذابُ، أو يُفاجئه بأسُ الله وهو علىٰ غفلةٍ لا يدري ماذا ينزلُ به، ولا يعلمُ ما يَحُلُّ بساحته.

وقال سبحانه وتعالىٰ: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتًا وَهُمْ نائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ (٩٩)} [سورة الأعراف:٩٧-٩٩].

وقد ذمَّ الله الذين لا يعتبرون بالآيات، ولا يتَّعِظُون بما يرون من الحوادثِ والعِظات، فقال سبحانه وتعالىٰ: {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٠٧)} [سورة يوسف:١٠٥-١٠٧]، ومعنىٰ الغاشية: أنها تغشىٰ الجميعَ وتعمُّهُم، فلا يُنجِي ذا المالِ مالُه، ولا يُنجِي ذا الجاهِ جاهُه، ولا يُنجي ذا العشيرةِ عشيرتُه، ولا يُنجي ذا السلطانِ سلطانُه.

ألا ترون تلك الدولَ التي أعطاها الله من القُدراتِ والصناعاتِ والآلاتِ ما أعطاها، لا تستطيعُ أن تفعلَ شيئًا أمامَ أمرِ الله إذا نزل، بل يعجزُ الجميعُ أمام ذلك، إذا جاء أمرُ الله فلا يستطيعُ أحدٌ ردَّه، قال تعالىٰ: {وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ} [سورة الرعد:١١].

وقال سبحانه وتعالىٰ: {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتًا أَوْ هُمْ قائِلُونَ} [سورة الأعراف: ٤]، جاءها بأسُ الله بياتًا أي: في الليل، أو هم قائلون، أي: وقت القيلولة بالنهار.

فبأسُ اللهِ - يا عبادَ الله - إذا نزلَ بقومٍ فلا يُفرِّقُ بين هذا وهذا غالبًا، بل يعمُّ الصالحَ والطالح، والبرَّ والفاجرَ، والمؤمنَ والمنافق، والتقيَّ والشقي، ولكن من كان عملُه صالحًا، ونيّتُه سليمةً، فإنَّ ذلك نافعُهُ عند اللهِ سبحانه وتعالىٰ، ومن كان علىٰ غيرِ ذلك فقد خسرَ في الدنيا والآخرة، ولعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقىٰ، فعلىٰ العاقلِ أنْ يُراجع حسابَه مع اللهِ، وأن يتوبَ إلىٰ اللهِ سبحانه، وأنْ يُصلحَ ما بينه وبينَ ربِّه، وما بينَه وبينَ الناس، ولا يأمنَنَّ أحدٌ مكرَ

الله عزَ وجل، لا تظنّ أنَّ هذه الحوادثَ خاصةٌ بأرضٍ دونَ أرضٍ، أو ببلدٍ دون بلد، أو بقومٍ دون آخرين، ففي حديث عائشة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» فقالت عائشة: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ - تعني: قد يكون في هؤلاء الناسِ من ليس غازيًا للكعبةِ، وفيهم من هو ساعٍ في طلَبِ المعاش، وفيهم من له أغراضٌ أُخرىٰ، وقد يكونون صالحين، فكيف يُخسفُ بالجميع؟ - فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ علىٰ نياتهم "[٤].

هكذا أخبر النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم أنه يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون علىٰ نيّاتِهم، فمن كان من أهلِ الصلاحَ، كانت تلك النوازلُ كفارةً له ورفعةً في درجاتِه وكان من الشهداء بمشيئة الله، ومن كان علىٰ غير ذلك فالويل له.

فاتقوا الله يا عباد الله، ولا ينامَنَّ أحدٌ إلا وقد جدَّد العهدَ فيما بينه وبين الله، وأعلنَ التوبةَ إلىٰ اللهِ عزَّ وجل مما هو فيه من المعاصي، لا تنمْ إلا علىٰ نيةِ الاستيقاظِ للصلاةِ والمحافظةِ عليها، فإنَّ من ينامُ وهو ينوي أنْ لا يستيقظَ لصلاةِ الفجرِ، أو أنْ لا يصليَها بالكلية، أو يصليها عند ذهابِه للعملِ؛ هذا ينام علىٰ نيةٍ تُشبهُ نياتِ المنافقين، لأنَّ تركَ الصلاةِ والتهاونَ بها من أعمال المنافقين، وكم من الناسِ اليوم ينامون علىٰ هذه النية الفاسدة، وعلىٰ هذه النية التي تُنافي شكرَ الله وتقواه، يَنوي أنْ يستيقظَ للعملِ، ويأخذُ في سبيل ذلك بكلِّ ما يستطيعُ من الاحتياطاتِ والمُنبِّهات، لكن الصلاة يهملُها وكأنها لا تعنيه، فهذا ينام علىٰ نية نفاق، - ولست أحكم بالنفاق علىٰ كل الناس لكن هذه النية نية ترك الصلاة وتأخيرها عن وقتها نية نفاق -.

وتخيَّلْ أن يأتيَ عليك بأسُ الله سبحانه وأنت علىٰ هذه النية، كيف ستواجهُ ربك؟ إذا قال لك يوم القيامة: يا عبدي أنعمت عليك وأمَّنْتُك وذلَّلتُ لك الأرض؛ بسطتُها ومهدتها

---

(٤) رواه البخاري (٢٠١٢) ومسلم

ودحيتُها، وسكّنتُها لتسيرَ عليها وتسكنَ فيها وتأمن، وسخرتُ لك الأرضَ وما فيها وجعلتُك تَرأسُ وتَربَعُ، وضمنتُ لك الرزقَ والأمانَ في أهلك وولدك ومالك؛ فكيف تستعد للعمل بكل ما تستطيع؟ ولا تستعدُّ للصلاة وكأنها لا تعنيك؟ فعلينا أن نتوب إلىٰ الله، وأن نحافظ علىٰ الصلاة التي هي من شكر الله سبحانه، ولنحرصْ علىٰ إقامتها وحثِّ أهلينا وأولادنا علىٰ إقامتها، فإنه لا قيام لدين ولا سعادةَ في دنيا إلا بإقامة الصلاة.

فعلينا بمراقبةِ الله، ولنجددِ العهدَ فيما بيننا وبين الله، ولنعلم أننا ما خُلقنا في هذه الحياةِ إلا للتزودِ للدار الآخرة، ففيها المُسْتَقر وهي الحيوان.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً لا ينفَد، أفضلَ ما ينبغي أن يُحمد، وصلىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ أفضلِ المُصطَفين محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تعبَّد، أمَّا بعد:

فإن مما تُذكِّرُ به تلك الأحداثُ العظيمةُ التي تُفقِدُ الناسَ وعيَهُم، وتُظهر عجزهم أمامَ قُدرةِ الله سبحانه: التذكيرُ بأحوالِ الناسِ يومَ القيامة، ذلك اليوم الذي قال الله عنه: {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلا لا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)} [سورة القيامة:٧-١٣].

يومُ القيامة، قال عنه سبحانه وتعالىٰ: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً (١٠)} [سورة الطور:٩-١٠].

يوم القيامة، قال عنه سبحانه وتعالىٰ: {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦)} [سورة الواقعة:٤-٦].

يوم القيامة، قال عنه سبحانه عنه: {فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ (١٦)} [سورة الحاقة:١٣-١٦].

يوم القيامة، قال عنه ربُّنا جل وعلا: {كَلَّآ إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرى (٢٣)} [سورة الفجر:٢١-٢٣].

إنه يومٌ عظيم؛ ليس كمثلِه يوم، ويُذكِّرُك به ما يحصلُ من الزلازل والفيضانات التي تُهلك الحرثَ والنَّسْل، وتأتي علىٰ الأخضرِ واليابس، عند أنْ ترىٰ أحوالَ الناس إذا تحركت الأرضُ بضعَ دقائقَ أو ثوانٍ لا تصل إلىٰ الدقائق، كيف يظهرُ عجزُهم، وتبورُ حيلُهُم، وتَخُورُ قواهم وعزائمهم، وما زالوا يرجون النجاة ويُؤمِّلون السلامة، كيف إذا جاء ذلك اليوم؟ الذي بعده ما بعده.

فاتقوا يا عباد الله، وراجعوا حساباتِكم مع ربِّكم ومع الخلق، انظرْ في صلاتِك، في إخراجك زكاة مالِك، في صيامِك، في صِلةِ أرحامك، في مكسبِك للأموال؛ أمن حلالٍ أم من حرام، في حقوقِ الخلقِ عندك.

انظرْ في قلبِك ماذا فيه من الكبر، والعجب، والغرور، والتعالي علىٰ الناس، والشحناء، والبغضاء.

انظرْ في إيمانك؛ هل تحبُّ طاعة الله وتقدمها علىٰ دنياك؟ أم أنك منشغل بالدنيا؟

عبادَ الله: ليست المشكلةُ في الموت ذاته، لا شك أننا نحزنُ لِمَا أصاب إخواننا كثيراً، ونتألم لمُصابهم، ونرجو الله أن يجبر كسرهم، وأن يعوضهم خيرًا.

لكنَّ العاقلَ إذا تأمَّلَ الأمر، وجد أن المشكلة ليست في الموت، فكلنا سنموت وقد تتعدد الأسباب، وتتنوع الأحوال؛ فهذا يموت في بيته علىٰ فراشه، وهذا يموتُ في سرير المشفىٰ، وهذا يموتُ في سيارتِه، وهذا يموتُ في عملِه، وهذا يموتُ في مكانِ اللهو والعبث

والمرح، فالموت ليس مشكلة في ذاته، ولكن المشكلة في الحال التي يموت عليها الإنسان، فيكف حالك عند الموت؟ وعلىٰ أي شيء تموت؟ وبماذا تلقىٰ الله سبحانه وتعالىٰ؟

الموت لا يضرُّ من مات فهو قد انتقل إلىٰ حياة أخرىٰ، وإلىٰ دارٍ أخرىٰ، لكن كيف يموت الإنسان؟ هذا ما ينبغي أن نجعله نُصبَ أَعيُنِنا.

وما قلتُ هذا الكلام إلا نصحًا في وقتِه، ومحبةً للسامع، وإشفاقًا علىٰ المتكلم والسامع، أنْ نصحوَ من غفلتِنا، وأنْ نحرصَ علىٰ صلاحِ أنفسِنا ومن يلينا، فإن هذا هو الأهم.

ولا يدري الإنسان من أين يأتيه بأسُ الله، فعن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عذابًا من فوقكم}. قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ). {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ}. قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ). فَلَمَّا نَزَلَتْ: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض}. قال: (هاتان أهون، أو: أيسر) [٥].

وقد كان من دعائه صلىٰ الله عليه وسلم الذي يردده كثيرًا: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ" [٦]. وهذه الحوادث والمصائب من فُجاءة النقم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ" [٧].

فنحتاجُ إلىٰ كثرةِ اللجوءِ إلىٰ الله، وشدةِ الاعتصامِ بحبلِه، ودوامِ التوكلِ عليه، وتفويضِ جميعِ أمورِنا إليه.

---

[٥] رواه البخاري (٦٨٨٣).

[٦] رواه مسلم (٢٧٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[٧] رواه البخاري (٥٩٨٧) ومسلم (٢٧٠٧).

هذا، وصلوا وسلموا علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وحجة علىٰ الناس أجمعين، فإن الله قد أمر بذلك في كتابه الكريم، فقال وهو أصدق القائلين: {إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ، والتقىٰ، والعفاف، والغنىٰ، اللهم أرِنا الحقَّ حقـًا وارزقنا اتباعه، وأرِنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم انصرْ من نصر الدين، واخذل من يَخذلِ المسلمين، اللهم اجعلْ هذا البلدْ آمنًا مطمئنًا رخاءً وسائرَ بلاد المسلمين، اللهم اجعلْ خيرَ أعمالِنا آخرها، وخير أعمالِنا خواتِمها، وخير أيامِنا يومَ نلقاك، اللهم أَحسنْ خاتمتَنا وعاقبتَنا في الأمورِ كلها وأجِرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلَّها، دِقَّها وجِلَّها، أولها وآخرها، علانيتها وسرها.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنىٰ وصف العُلا يا أرحم الراحمين يا ذا الجلال والإكرام أن تعوِّضَ إخواننا خيراً مما فقدوا في دينهم ودنياهم، اللهم ارحم موتاهم، واشفِ مرضاهم، وعافِ مُبتلاهم، واجبرْ علىٰ قلوبهم، وصبِّرهم وثبِّتهُم وأعنهم، واكتب لهم الأجرَ والعافيةَ والسلامةَ يا أرحم الراحمين، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.